سعادة
د. وجيه قانصو

”وجيه كانسو“ هو المدير الحالي لـ (RIIFS). حاصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ”الروح القدس“ في لبنان. قام بنشر عدد من الكتب؛ أحدثها ”الشيعة الإمامية: من الروايات إلى التاريخ“.

سعادة د. وجيه قانصو

في البداية أود أن أحول السؤال المفترض لهذا اللقاء من كيف نتقدم في الأخوة الإنسانية؟ وكيف ندفعها إلى الإمام؟ إلى على أي أرض تقف الأخوة الإنسانية في الوقت الراهن؟

أي بدلا من التقدم إلى الأمام أو الرجوع للوراء قليلا؛ بدلا من النظر للأعلى أو النظر إلى الأدنى، إذا أردت النظر في الوضعية القائمة للأخوة الإنسانية في وقتنا الحاضر، بالتالي؛ يتحول السؤال إلى: ما الذي يجعل الأخوة الإنسانية ممكنة؟

النقطة الثانية هي أنني سأطرح مبدأ الأخوة الإنسانية في ذاتنا؛ بمعنى إذا كانت الأخوة الإنسانية ضرورة للبشرية في مرحلة من مراحل وجودها فما هي شروطها الذاتية؟ وما هي ضروراتها الأساسية بغض النظر عن التأييد الذي يأتي من نص أو قول ديني؛

أي أنني سأنطلق من جذور الأخوة الإنسانية من داخلها لا من خارجها، فالحديث عن الأخوة الإنسانية يتطلب إقرار أمور عدة أولها التأكيد على أن كل أشكال الحياة ذات قيمة مهما نزلت ومهما علت، مهما ضعفت ومهما قويت، مهما اشتدت أو ذبلت؛ أي لا توجد خسة أو سمو في الحياة، بل يوجد شكل حياة مختلف أو أشكال مختلفة، لكل شكل عالمه وقانونه ولغة وجود خاصة به.

ثانيها أن نقر أن أشكال الحياة متصلة متداخلة وليست منفصلة مستقلة؛ فكل شكل هو حصيلة تقاطع واتصال، تداخل وانفصال لتوقعات لا متناهية لأشكال الحياة؛ فلا ذوات قائمة بذاتها ولا كيانات منفصلة ومتنقلة عن غيرها وعن محيطها. فالوجود شبكة متداخلة؛ الكل يعتمد على الكل، والكل يستمد حقيقته ومعناه من الكل، من دون أن يقتص أي "كل" من مساحة الوجود الخاصة بأي كائن أو مبادئه الخاصة به.

ثالثهما: أن ندرك أن الإنسانية تتحقق عند الاختلاف؛ فالاختلاف بين البشر هو الأصل في الوجود الإنساني؛ هو اختلاف يستولد مقدر المجتمعات والأديان والأنظمة والتقاليد والعادات والثقافات؛ بل يستولد الاختلاف تنوع الشخصيات ومقدر الأفراد وتميز الجماعات والروابط داخل المجتمع الواحد، ويستولد تعدد المذاهب داخل الدين الواحد؛ لهذا ليس الأفراد تكرارا لعينات أو وحدات بشرية متشابهة، بل يمثل كل فرد حدوثا خاصا وفريدا لا يتكرر.

وليست المجتمعات والثقافات وحدات متطابقة، فالكيان تتابع اختبارات إنسانية ولّدت فضاءات متميزة ولا متناهية من العلاقات والروابط الإنسانية.

بالتالي؛ فإن الإنسانية لا تختزل بنظام سابق عليها ولا تحددها تصورات عقلية تتقدم على وجودها؛ بل إن النظام والتصور حصيلة متأخرة لوجود بشري متنوع ومتغير ومختلف ومتجدد لا حصر له ولا ضابط مسبق لمساراته واحتمالاته وإمكاناته المستقبلية.

الإنسانية تحقق مستمر لا يتوقف عن التجدد والتكثر والظهور بكل جديد مفاجئ غير مسبوق وغير متوقع.

رابعا: ندرك أن الأخوة الإنسانية لا تكون في التجميع القسري، والضم الإكراهي، والتمثيل المتعالي، والتمثيل الاختزالي للوحدات الإنسانية المتنوعة والمختلفة؛ بل تكون في إعطاء كل ظهور عيني فسحته الخاصة ومدى نشاطه الطبيعي.. أن ندع الأشياء تقول عن نفسها لا أن نتولى ذلك.. نعطيها سعة لتتفتح وتظهر كامل إنسانيتها أغصانا، لا أن نتتبع شكل حياة

إنسانية بأخرى، أو نضم قيمة إنسانية تنتجها ثقافة وتعمد إلى فرضها على غيرها بعناوين كونية مزيفة.

خامسا : إنه وراء قراءة أشكال الحياة الإنسانية دافع اتصالي بينها، عشق ضمني، انجذاب لا يمكن أن يفسره فقط العيش فوق مسطح واحد، أو تقاسم لضرورات البقاء المحدودة؛ بل هو انجذاب يخرجنا من العزلة وتجنب التوحد، فالبشرية تختلف في أشكالها وصورها، لكنها تستمر باتصالها وانجذابها لبعضها، وتستمر باتحادها، هناك رابط بين أبناء البشر، دافع تعاطف، حب لا محدود يجعل الحياة الإنسانية حياة ذات تفاعل متبادل.

سادسا: وأخيرا ما ذكرناه تحجبه نظمنا الحالية وأجهزة السلطة، وهي وضعيات نعيشها تحجب حس المعنى عند الإنسان، وتعطل روح الشراكة في النشاط الإنساني لصالح أنانية التنافس، وتطمس التنوع الخلاق لصالح نموذج محاكاة رتيبة وتحويل الحرية لتعبيرات جسدية خاوية.

هو وضع اختزل صور الحياة كلها في شكل واحد يقوم على التطويع والانضباط الصارم وخواء المعنى .

من هنا يتبين أن المطلوب هو شق مسار إنساني آخر، خلق بقع ضوء ونور قادرة على الاتساع لتعم العالم، لا أن نؤسس إنسانيتنا على قاعدة استهلاكية روح المنافسة؛ بل على قاعدة التحقق الخلاق والتعاطف المشبع بالحب والبذل من أجل الآخرين .

السؤال الكبير كيف تصبح هذه القواعد والأوليات التي ذكرناها أرضية وأساسا فعليا وواقعيا للعلاقات الإنسانية؟ وكيف تنقل كونها مبادئ إلى إطار نابض لواقع إنساني جديد؟

المطلوب البحث في شروط أمثال هذا الواقع الجديد ولعل هذا المؤتمر يكون بداياته ومنطلقاته.